على قائمة الانتظار

جلست (لين) على طاولة الطعام، وأمامها طبق لذيذ تحبه كثيرًا من البطاطس المهروسة، وقطع الدجاج، وبعض السلطة الخضراء.. الجميع على الطاولة يتناولون الغداء.. والديها وشقيقتها، يتحاورون كالمعتاد عن ما دار في يومهم، ويطرَحون المشاكل التي واجهتهم.. كانت (آسيا) تتحدث عن مشكلة وَقَعتْ في الجامعة، وكيف احتدت وتصاعدت، وكان نقاش والديها هادئاً معها.. أمّا الصغيرة (لين) فكانت شاردة.. تَسمع أصواتهم غير منتبهة لفحوى الحديث.. شاردة في هاتفها وما شاهدته للتو حين فتحت تطبيق «الفيس بوك» فوجدت أمامها منشورات التذكير، تلك المنشورات التي استحدثها القائمون على التطبيق تتيح للمستخدم التجوُّل في الذكريات الخاصة به سواء منشوراته الشخصية أو التي بينه وبين أصدقائه منذ صُنع الحساب وحتى عام مضى، وكأنَّه يريد أنْ يعرِّفه على نفسه، ما كان فيه، وما أصبح عليه، اهتماماته، اللحظات الأكثر أهمية ومتعة له فيما مضى، كان القائمون على التطبيق بذكاء أنْ يصنعوا هذه الميزة، التي لها أثر سواء كان سلبيًا أو إيجابيًا على مزاج المستخدم،

فتجعله يرتبط بالتطبيق أكثر وأكثر، وهذا ما حدَث للصغيرة (لين)؛ فقد كان المنشور يتحدَّث عن معاني الصداقة والمودة جاء فيه:

- «سأحبك يا صديقتي، وكأنَّكِ قد وُضعت أمانة في عنقي، وكأنَّ أمك قد استودعتك في قلبي ومضت مطمئنة، وكأنَّ الكون كله قد أوصاني عليكِ، فإنْ زاركِ المرض فهو زارني، وإنْ أصابك ضيق فقلبي لأجلك يضيق، وإنْ عشْت البؤس فأنا معك سأعيش، وإنْ بكيت فأنا عينًا أخرى تبكي معكِ».

وضعته صديقتها (خديجة) في حسابها في ذات اليوم منذ عامين، تابعت (لين) بعينيها الكلمات والتعليقات، التي دارت بينها وبين صديقاتها، بعضهن علَّقت بفكاهة وضحك، والأخريات علَّقن بعبارات الدعاء بأنْ يحفظهما الله ـ تعالى ـ، والبعض اكتفى بإبداء الإعجاب به، وعلى قدر الابْتِسَامَةِ التي علَت شفتيها وهي تقرأ كل حرف إلّا أنَّ غصة كانت في قلبها، فـ(خديجة) لمْ تعُد مقربة إليها كما كانت، إثر مُشادة حدثت بينهما منذ شهور، صحيح أنَّهما تتقابلان ضِمن مجموعة الأصدقاء في المدرسة، ولكن منذ حدث ذلك الخلاف تكونت فجوة فما عادتا كما كانتا معًا.. أغلقت الهاتف ووضعته أمامها.. انتبهت لتصرفها والدتها، فقالت لها:

- ما بكِ يا ابنتي؟
- لا شيء يا أمي.
- كيف لا شيء؟ وجهك تغير عندما كنت تتصفحين الهاتف ثم أغلقتِه فجأة، أهناك أمر أزعجكِ؟
- لا عليكِ يا أمي.

قال لها الوالد، وقد انتبه للخَطْب:

ـ ما بكِ يا صغيرتي، ما الذي أزعجك؟

ـ لا شيء يا أبي.. منشور قديم شاهدتُه.

ردت عليها (آسيا):

ـ ما كان فيه عزيزتي؟

تطلَّعت (لين) في وجوههم الثلاث فوجدت الاهتمام والإصغاء، ابتسمت وكأنَّها تريد أنْ تَرمي بالحِمل عن قلبها وقالت:

ـ منشور قديم صنعته لي (خديجة) منذ عامين.

ابتسمت الأم في حنان، وهي تربت على كتفها، وتقول:

ـ إذن، هذا هو السبب!

نظر لها الوالد في هدوء، وقال:

ـ وهل ما أزعجك أنَّه من (خديجة)؟ أمْ أنَّه قديم؟

وجَّهت (لين) بصرها له، وقالت في حزم:

ـ أنَّه منها.

قاطعتها (آسيا):

ـ لو كان كذلك، كنت تجاهلتيه، ولكنَّكِ لا تُخبِرينا الحقيقة.

نظرت لها الصغيرة بتعجب، وقالت في غضب:

ـ وما هي الحقيقة، (آسيا)؟!

ـ الحقيقة أنَّك حزينة على ما آلت إليه الأمور بينكما، رغم عِشرة الأعوام الكثيرة، ودرجة تفاهمكما العالية، فـ(خديجة) صديقتك المقربة منذ كنت طفلة يا (لين).

ـ ثم؟

أجابت الأم هذه المرة:

- ثم لا تؤول الأمور في الصداقات العميقة إلى ما حدث بينكما حبيبتي، فمهما كان الخلاف يَبقى دائمًا هناك الأعمق، الذي يُعيد الأمور إلى نِصَابها.

قالت (لين):

- ولكنها تعنَّتت يا أمي، وأصرَّت على موقفها، ولمْ تعتذر عمَّا بدَر منها، وأنا لن أفعل ما رفضته هي.

رد الوالد:

- بل لمسة الحزن التي في عينيكِ تُجبِرك على فِعل ذلك يا ابنتي.
- ماذا تقول يا أبي؟!
- اسمعي يا صغيرتي، إنْ لمْ تفعلي، فسوف تهاجمك الذكريات واحدة تلو الأخرى، لتصطدم بحاجز البُعد بينكما، والمحصِّلة في النهاية خسارة لكليكما.
- ولمَ لا تفعل هي؟!
- التمسي لها العُذر، ففي بعض الأوقات نكابر ونختار الصمت على الاعتراف بالخطأ، فيزداد البُعد، ومِن بَعده الأوجاع، وتُقتل مشاعرنا البريئة بخنجرٍ مسموم اسمه القسوة.

أردفت الأم:

- وصديقتك فعلًا تحبك، وما بينكما لن يطاله النسيان بهذه السهولة.
- ماذا أفعل الآن؟

قالتها (لين) في شِتاتٍ، فأجابتها (آسيا):

- بَعد أنْ تُنهي الغداء أرسلي لها هذا المنشور، تذكِّريها به، ثم حدِّثيها في الهاتف، وأخبريها أنَّها تركت بغيابها فراغًا لمْ تملأه صديقة أخرى.

ابتسمت (لين) من الفكرة، وقالت:

- بل سأخْبرها أنَّ الحَنين همس في أذني، أنَّ ما بيننا لا ينتهي أبدًا بإذن الله.

قالت الأم:

- أجَل صغيرتي، بإذن الله.

قال الوالد:

- هيَّا أكملي غدائك الآن.

قالت (لين) وهي تنهض:

- شبعت يا أبي، سأذهب الآن.

ضحك الثلاثة من تصرُّفها السريع، وعلَت الابتسامات مَحياهم.

ثم قال الوالد:

- مَن كان يتخيل أنْ يُعيد «الفيس بوك» ما أفسدته تعابير الوجه والكلمات، صحيح بعض التكنولوجيا قد تكون وَبالًا، ولكن بعضها قد يكون نعمة، المهم.. هو حُسن الاستخدام.